إمام أهل السنة

تأليف

سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وبعد[١]:

فما من قارئ إلا ويعرف من هو إمام أهل السنة! إنه أحمد بن حنبل -بلا منازع- فإذا أطلقت هذه الكلمة قصد بها أحمد بن حنبل الذي عقد له اللواء. وإنني - علم الله - أتقالُّ نفسي أن أكتب عن رجل كهذا الإمام الأشم الفخم المعظم، والذي هو إمام من أئمة الدين، وحافظ من حفاظ السنة، عالم جامع لفنون كثيرة.

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقيت ليلة الثلاثاء، الثالث والعشرين من شهر جمادى الأولى من سنه ألف وأربعمائة وثلاثة عشر للهجرة، في الجامع الكبير بمدينة عفيف.

- **فلماذا نتحدث عن هؤلاء الرجال؟**

إن هناك سؤالا يطرح نفسه: لماذا نتكلم عن هؤلاء الرجال؟! ليس فقط الإمام أحمد، فهناك سلطان العلماء العز بن عبد السلام، وهناك سلطان آخر من سلاطين العلماء، وهو المنذر بن سعيد البلوطي. وهناك إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس، وهناك الإمام الشافعي، رحمهم الله جميعا.

أولا: عند ذكر الصالحين تتنـــزل الرحمة[١] ، فإن ذكرهم ذكر للعلم الذي يحملون، والمذهب الذي ينتحلون، والدين الذي إليه يدعون، والسنة التي بها يعملون. فما ذكروا لأنسابهم ولا لأموالهم، ولا لسلطانهم؛ وإنما ذكروا لأنهم من أهل الله الذين إذا ذكروا ذكر الله تعالى، وإذا أثني عليهم أثني على الدين، وإذا أحبوا فبحب الله تعالى أحبوا.

(1) قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء : ليس له أصل فى المرفوع، وإنما هو من قول سفيان بن عيينة اهـــ كشف الخفاء (١٧٧٢) وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٨٥/٧) من كلام ابن عيينة.

ثانيا: إن العبد في هذا الطريق الطويل يحتاج إلى الأسوة والقدوة، ولا شك أن الأسوة العظمى إنما تكون برسول الله ﷺ، سيد ولد آدم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] فهو ﷺ الكامل في خصاله وخلاله، الذي أنعم الله تعالى عليه بأن بوأه هذه المكانة الكريمة، فهو أسوة لكل متأس، وقدوة لكل مقتد؛ فيجد الأب في تربية أبنائه أسوة برسول الله ﷺ في معاملته لولده، ويجد الزوج في معاملته لزوجته أسوة برسول الله ﷺ مع أهله، ويجد المعلم والشيخ مع طلابه أسوة برسول الله ﷺ مع أصحابه، ويجد المجاهد في سراياه ومغازيه ﷺ السلوة والعزاء، ويجد كل إنسان في سيرته ﷺ أعظم الأسوة والقدوة، فهو المعلم العظيم. وكل من ذكرنا أو لم نذكر فإنما اقتبسوا شيئا من هديه، ونورا من نوره.

وكلهم من رسول الله مقتبسٌ
غَرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

إنهم بعض حسناته ﷺ، وأثر من آثاره، وفيض من فيوض دينه وشرعه وسنته، فما الإمام أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة، وغيرهم من أئمة الفقه والحديث والجهاد والدعوة – رحمهم الله جميعا– إلا بعض آثار رسول الله ﷺ. إذًا فلماذا لا نكتفي بسيرة محمد ﷺ عن سيرة غيره، ونتذكر أحواله ولا نتذكر سواه؟ فإن قال ذلك قائل، أو سأله سائل فإننا نقول: قد يقول قائل هذا نبي مصطفى، ومختار مجتبى، يأتيه خبر السماء بكرة وعشيا، فأين نحن من رسول الله ﷺ ؟ فإنه المؤيد بجبريل، المكرم بالتنزيل، فأما – من عداه– من البشر فخطاة جناة. فإذا عرضنا لبعض أتباعه وبعض الأئمة من أمته فإننا نقول للناس: هاهي قدوات أخرى نسجت على منوال النبي الكريم ﷺ فأفلحت وأنجحت، وهؤلاء بشر من البشر لا ينزل عليهم وحي ولكن يتبعونه، وهم ناس من الناس في بلادهم ومعايشهم وأنسابهم ووفاتهم وأعمالهم، ولكنهم قبسوا من هذا الهدي وتمسكوا بهذا الصراط، فكان منهم من بديع الأفعال والأقوال ما ترون وتسمعون.

ثالثا: أن كل نحل الدنيا، وكل ملل الأرض تدعي أنها تقدم للناس الهدي الصحيح والصورة المثالية للحياة، فالنصارى مثلا يطرحون المحبة والعفو، ويرددون: "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر"، و"من أخذ منك الرداء فأعطه القميص".

واليهود زعموا أنهم شعب الله المختار، والشيوعية نادت بالمساواة وجنة العمال في الدنيا، ولكن رأينا النصارى ينادون بالسلام ويشنون الحروب ويسفكون الدماء، واليهود زعموا أنهم شعب الله المختار ثم نسبوا إلى الله تعالى النقائص، وتجرأوا على حدوده وقتلوا أنبياءه، والشيوعية تطالب بتعميم الثروة والعدالة، واحتكر زعماؤها المال لأنفسهم وعمموا الفقر.

إذًا كثيرة هي الدعاوى التي تفقد رصيدها في الواقع، ترسم صورة وتطبق أخرى، أما نحن فنؤكد أن شرائع الإسلام ومُثُله وقيمه وأحكامه لم تكن كتبا تتلى فحسب، ولا أحكاما وتعليمات تتوارث في المدارس والمجالس؛ وإنما كانت نمط حياة وأسلوب معيشة، ومدرسة يتربى عليها العلماء والدعاة في كل زمان ومكان وفي كل حين وأوان، ويرثها اللاحق عن السابق.

إن الله تعالى قيض لهذا الدين وهذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويعيدون الناس إلى السنن الأول، والطريق المستقيم الذي كان عليه النبي الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم. فالشافعي ومالك وأحمد وأبو حنيفة وغيرهم من علماء الأمة – رحمهم الله–، كل هؤلاء نماذج معبرة تؤكد للناس أن الإسلام دين عملي، دين حياة وتطبيق وعمل، وليس دينا نظريا موجودا في الكتب والأوراق فحسب.

وقد اخترنا في هذه الرسالة أحد هؤلاء النماذج لنتحدث عنه، ونلقي الضوء على أحداث في حياته، وبعض أخلاقه ومناقبه، وهو إمام أهل السنة الإمام أحمد ﷺ.

وسوف نتناول هذا الموضوع من خلال الفصول التالية:

الفصــــل الأول: سيرة ذاتية.

الفصل الثـــاني: الفتنة .. أحداث وعبر.

الفصل الثالث: أخلاقه ومناقبه.

الفصل الرابع: بين الإمام أحمد و علماء عصره[1].

* * *

(1) للمزيد من أخبار الإمام أحمد ينظر: طبقات ابن سعد (٧/٣٥٤)، تاريخ بغداد (٤/٤١٢)، طبقات الحنابلة (١/٤)، تهذيب الكمال (١/٤٣٧)، سير أعلام النبلاء (١١/١٧٧)، مناقب الإمام أحمد-لابن الجوزي.

الفصل الأول

سيرة ذاتية

❑ **نسبه ونشأته:**

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي، خرجت به أمه حملا في بطنها من مرو ثم ولد ببغداد وبها نشأ ومات - رحمه الله تعالى-، كان ميلاده سنة ١٦٤هـ، وطاف البلاد لطلب العلم، فدخل الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة وغيرها. وهو عربي من بني ذهل بن شيبان، ولكنه -كما قال يحيي بن معين-: "ما افتخر علينا قط بالعربية ولا ذكرها"؛ بل قال عنه محمد بن الفضل: "وضع أحمد عندي نفقته، وكان يجيء في كل يوم فيأخذ منها شيئا، قال: فقلت له يوما: يا أبا عبد الله بلغني أنك من العرب، فقال: يا أبا النعمان نحن قوم مساكين. قال: فلم يزل يدافعني حتى خرج ولم يقل شيئا!! فلم يجعل الإمام أحمد من أرومته العربية سببا للتعالي والفخر، ولكن جملها بالتواضع والعلم.

طلبه للعلم:

طلب الحديث وهو ابن خمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة على الأكثر، وما زال يطلب الحديث حتى مات، وقد رؤي على كبر سنه وفي يده دواة وورق يكتب به وهو يجول بين الشيوخ، فقال له قائل: "يا أحمد هذا على كبر سنك؟!"، قال: "نعم، مع المحبرة إلى المقبرة". إن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، والعالم مثل الذي يشرب من البحر لا يزداد بسعة علمه إلا عطشا ورغبة إلى العلم.

عبادته:

حج رحمه الله خمس حجج، ثلاث منها ماشيا، وفي إحدى هذه الحجج لم تزد نفقته منذ ذهب وإلى أن رجع على ثلاثين درهما. قال الشافعي -رحمه الله تعالى-: "خرجت من بغداد وما خلفت بها أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل"[(١)]. وقال أيضا: "أحمد بن حنبل إمام في ثمان مسائل: إمام

(1) انظر تاريخ بغداد (٤/٤١٩)، وسير أعلام النبلاء (١١/١٩٥).

في الحديث، وإمام في الفقه، وإمام في اللغة، وإمام في القرآن، وإمام في الزهد، وإمام في الفقر، وإمام في الورع، وإمام في السنة"[(١)].

صفته:

كان حسن الصورة حسن الوجه، ربعة بين الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وهو إلى الطول أميل، يخضب بالحناء وفي لحيته شعرات سود بعد كبره. كان أسمر شديد السمرة، غليظ الثياب، إلا أن ثيابه كانت بيضاء شديدة البياض.

قال عبد الملك الميموني عن الإمام أحمد: "ما رأيت أنظف بدنا، ولا أشد تعاهدا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبا بشدة بياض من أحمد بن حنبل...، ولم يكن في ثيابه رقة ولا غلظة تنكر"[(٢)]؛ بل كان يحب التوسط في الملابس وفي الحذاء وفي غيرهما، ولم يكن يحب ملابس العظماء

(1) انظر طبقات الحنابلة (١/٥)، وقد شرح هذه المقولة مفصلة هناك.

(2) سير أعلام النبلاء (١١/٢٠٨).

والمستكبرين والأغنياء والأثرياء والمترفين، وأيضا كان يبتعد عن الملابس التي يتميز بها الصوفية أو المتظاهرون بالزهد؛ لأنه لا يحب أن يتظاهر بشئ من ذلك.

قال العباس النحوي: "رأيت الإمام أحمد وهو معتم وعليه إزار"(١). ونقول اليوم: سبحان الله! كم كان ببغداد من رجل عليه عمامة وعليه إزار؟! إنهم مئات الآلاف، لكن هذا الرجل ينقل لنا صورة رآها للإمام أحمد، لأن الله كتب لأحمد الخلود في الدنيا، فصار الناس يذكرون حتى أدق التفاصيل عن حياته، حتى لقد نقل الناس عنه الصمت!! "سئل أحمد عن كذا فسكت"، "سئل عن كذا فهز رأسه"، "سئل عن فلان فأشاح بوجهه"، كل هذا ينقل عن أحمد وهناك غيره من أهل العلم من نسيت كتبهم، ودرست معالمهم، ولم يعد الناس يذكرونهم بشيء؛ لأن الله تعالى لم يكتب لهم الخلود في هذه الدنيا فانقطع أثرهم وذكرهم. أما أحمد فقد كتب الله له الخلود، لا لأنه يحمل مؤهلا من مؤهلات

(1) تاريخ بغداد (٤/٤١٦).

الدنيا فقد ذهبت الدنيا بأهلها، ولكن لأنه قام بأمر الله عَجَّلَ في وقت عـــز فيه القائمون بأمر الله تعالى.

❑ توقير العلماء له:

كان الإمام أحمد مهيبا، إذا رآه الإنسان هابه، وامتنع عن كثير مما يريد أن يقول، حتى إن يزيد بن هارون كان إماما عالما محدثا لكنه كان صاحب نكتة ودعابة، فربما مزح فضحك طلابه، فلما علم بعد ذلك أن أحمد كان في مجلسه قال: "ألا أخبرتموني أن أحمد كان بيننا؟"(١). فكان شيوخه يحتشمون منه ويوقرونه.

❑ وفـــاته:

مات الإمام أحمد سنة ٢٤١هـــ وكان عمره سبعا وسبعين سنة. وهذا الكلام قد يقال عن كل إنسان، فما من عالم إلا وقد قيل عنه مثل هذا، لكن الشأن فيما بقي من سيرة الإمام أحمد رحمه الله.

(1) انظر سير أعلام النبلاء (١١/١٩٤).

* * *

الفصل الثاني

الفتنة ... أحداث وعبر

لا يذكر الإمام أحمد إلا وتذكر معه الفتنة التي لقيها!! قال علي بن المديني: "ما قام أحد في الإسلام بمثل ما قام به أحمد بن حنبل". قال الميموني -وكان حاضرا-: "تعجبت من قول علي بن المدينى هذا عجبا شديدا، وقلت: أبو بكر ﷺ قام بما قام به، وجاهد في الله وصبر وصابر وحارب المرتدين، فكيف يقول علي بن المديني: ما قام أحد في الإسلام بمثل ما قام به أحمد بن حنبل؟!" قال الميموني: "فلقيت أبا عبيد القاسم بن سلام فقلت له ذلك، فقال: إذًا يخصمك علي بن المديني، قلت: بأي شي هذا؟ قال: إن أبا بكر ﷺ قد وجد على الحق أنصارا وأعوانا، أما الإمام أحمد فإنه لم يجد على الحق ناصرا ولا معينا". ثم أقبل أبو عبيد يطري الإمام أحمد ويثني عليه ويقول: "لست أعلم في الإسلام مثله"[(١)].. نعم، لم يكن أحمد بن حنبل في وقته إلا إماما فريدا، قام بأمر ما

(١) طبقات الحنابلة (١/١٧)، البداية والنهاية (١٤/٤٠٨).

قام به غيره، ولا يعني هذا نسيان فضيلة أبي بكر رضي الله عنه في محاربة المرتدين وجهادهم، وفي الصبر وفي إحياء الدين يوم كاد أن يندرس في جزيرة العرب؛ وإنما كان الإمام أحمد على منوال أبي بكر ينسج، وبهديه يهتدي. وقال بشر بن الحارث – وقد سئل عن الإمام أحمد بن حنبل–: "أنا أُسأل عن الإمام أحمد؟! إن أحمد بن حنبل أدخل في الكيـــر فخرج ذهبا أحمر"[1]. وقال عبد الوهاب الوراق: "عشرون سنة والإمام أحمد يتقلب في نيران المحنة حتى خرج منها كما خرج إبراهيم من نار النمرود" ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

- **أحداث الفتنة:**

- **عهد المأمون**[2]:

ضُرب الإمام أحمد وحبس في عهد المأمون، وسجنه في آخر أيامه ثم أشخص إليه[2]، ولكن مات المأمون قبل أن يصل إليه

(1) انظر تهذيب التهذيب ترجمة (١٠٧)

(2) ولي المأمون الخلافة من سنة ١٩٨هـــ، وحتى ٢١٨هـــ

الإمام أحمد. وقيل إن موته بدعوة من الإمام أحمد، فإن بعض حاشية المأمون خاف على الإمام أحمد، وحملته الغيرة فجاء متسللا إلى الإمام أحمد وهو يمسح دمعه بطرف ردائه، وقال له: "يا إمام، إن المأمون قد سلَّ سيفا ما سله قط، وإنه يحلف بالله تعالى إن لم تجبه لما أراد من القول بخلق القرآن ليقطعنك إربا إربا"، فرفع الإمام أحمد يديه إلى الله تعالى ودعا على المأمون فمات من ليلته، فما جاء السحر إلا وقد ارتفعت الأصوات وأوقدت النيران ونعي المأمون إلى الناس[1].

وفي ذلك درس وعبرة.. إن هذا الرجل من الحاشية هو كمؤمن آل فرعون، يغار على الإمام أحمد، ويحبه، ولكنه لا يستطيع أن يصنع شيئا كثيرا، وهو من حاشية الخليفة، ولكنه أسر إلى الإمام أحمد بهذا الخبر. وهكذا يكون المؤمن الصابر الذي قلبه مع

(3) شخص من بلد إلى بلد: أي ذهب. انظر مختار الصحاح (١/١٤٠).

(1) ذكـــر الذهـــبي في السير (١١/٢٤١) عن أحمد رضي الله عنه: " لما صرنا إلى أذنة – وهي بلد من الثغور قرب المصيصة –، ورحلنا منها في جوف الليل، وفُتح لنا بابها، إذا رجل قد دخل، فقال: البشرى! قد مات الرجل – يعني المأمون–، قال أحمد: وكنت أدعو الله ألا أراه".

أهل الخير والإيمان، إن لم يستطع أن ينفعهم علانية نفعهم سرا ولو بالنصيحة بينه وبينهم، أو بالموافاة بما يُكاد لهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٠].

ولما حُمل الإمام أحمد إلى المأمون سأله رجل عن حديث وقال: "يا إمام ما تقول في حديث كذا وكذا؟" والإمام أحمد مثقل بالحديد في رجليه، والقيود في يديه، فالتفت إليه الإمام أحمد وتبسم وهو يتمثل بقول الشاعر- :

رويدكِ حتى تنظري عم تنجلي
عماية هذا العارض المتألق

أي انتظر حتى ينجلي هذا الأمر. نعم لقد انجلى هذا الأمر عن طيب معدن الإمام أحمد وصلاحه، وأنه ممن خاف مقام ربه فنهى النفس عن الهوى، وآثر الحياة الآخرة على الدنيا فجعل الله تعالى له عز الدنيا والآخرة.

- **عهد المعتصم**[1]:

مات المأمون وجاء المعتصم، وكان جاهلا لا يعرف شيئا، ولكنه مشى على سنن من كان قبله، ووجد الإمام أحمد محبوسا فزاد في حبسه وقيده، وضربه وأهانه، وكان يقف عليه بنفسه ويأمرهم بضربه حتى قال أحد جلاديه: "والله لقد ضربت أحمد مائة سوط لو كانت على فيل لانهدّ". وكانوا يتعاقبون عليه، وهو الرجل الذي قد بلغ من السن ما بلغ، وكان مع هذا كثير الصيام، فيعرضون عليه الفطر فلا يفطر ويقول: "إني أقوى". ويأتيه الخليفة فيقول له: "يا أحمد والله لولا أني وجدت من قبلي قد حبسك ما صنعت بك شيئا" ، ثم يقول: "والله يا أحمد لئن أجبتني إلى ما أريد- أي القول بأن القرآن مخلوق- لأطلقن عنك القيود بيدي، ولأركبن إليك بجندي ولأطأن عقبك. يا أحمد، والله إني عليك لشفيق، وإني لك محب، والله إنك عندي مثل ولدي هارون فأجبني إلى ما أريد حتى أطلق عنك وأكرمك"... إلى غير ذلك،

---

(1) ولي المعتصم الخلافة سنة ٢١٨ هـ.، وتوفي سنة ٢٢٧ هـ. انظر دول الإسلام للذهبي (١/١٣٧).

فاستخدموا معه أسلوب القوة والقسوة والضرب، ثم أسلوب الترغيب والإشفاق والتعبير عن المشاعر، فكان الإمام أحمد لا يزيد في هذا ولا في ذاك على كلمة واحدة: "أعطوني شيئا من كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ"(1)، فلم يكن عنده إلا هذا الكلمة. إنها قضية كبيرة، لا مزايدة في المبادئ، والدين ليس فيه مجال للمساومة أو الالتقاء في منتصف الطريق، الدين حق واضح يؤخذ من القرآن والسنة، ولا يزيد أهله بإيذائهم وضربهم وحبسهم والوقوف في سبيلهم إلا صبرا وثباتا.

ولذا رأينا أهل العقائد –حتى الباطلة منها– على مدار التاريخ كلما أوذوا وحوربوا كان ذلك دفعة لهم للأمام، وتقوية لعزائمهم، وحفزا لهممهم، فكيف إذا كانوا أهل الحق الذين ينطقون عن القرآن والسنة ويقتدون بهدى المرسلين؟. إنهم يقرؤون ويسمعون قول الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا اللذين مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ

(1) انظر "محنة الإمام أحمد" للحافظ عبد الغني المقدسي ص٩٠.

ٱللَّهُ اللذين صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣] وفي الآية التي بعدها: ﴿ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ اللذين ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ١١].

إذاً هذه الفتن والمحن لا تزيد المؤمنين إلا صبرا وإصرار وثباتا على دينهم. فالإمام أحمد لم يزايد، ولم يجعله البلاء والشدة يقول ما قاله غيره، ولا التمس لنفسه المعاذير من نحو: أنا لست مكلفا بهذا، وأنا بعافية والحمد لله، ألزم بيتي وأغلق بابي!.. كلا، فالقضية عنده قضية دين، ومسؤولية وأمانة لا بد أن يحملها، ولا يجوز أن يتخلى عنها. ولذلك لما قال له الخليفة: "يا أحمد، أنا والله عليك مشفق، وأنت عندي مثل ولدي هارون، فإذا أجبتني إلى ما أريد أطلقتك بيدي وفعلت وفعلت". إن مثل هذا الكلام تهفو إليه قلوب أهل الدنيا ونفوسهم، من الذي يظفر من خليفة عظيم أن يقول له: أنت مثل ولدي، إني أحبك وإني أشفق عليك. إن هذا النوع من الحوار مع العظماء يذيب المقاومة، ويفتت الصمود، أما الإمام أحمد فحتى هذا أيضا لم يضعف مقاومته، ولم يزلزل

موقفه، كانت كلمته في الحالين واحدة: " أعطوني شيئا من كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ"، إنه لم يتقلب مع الذين تقلبوا و لم يتلون مع الذين تلونوا:

و لم أتلوَّن كالذين تلوَّنوا

وزاغوا وراغوا خسة وتصيدا

إن الكثيرين شجعان حتى يلتقي الصفان، وأقوياء حتى تبدأ المواجهة. فإذا جد الجد لم تجد إلا أهل الصدق، واتضح أهل البلاء والغناء من أهل التزيد والادعاء، ولذا يبتلي الله عباده بالضراء ليميز الخبيث من الطيب، ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ اللذين ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

إن هذه المواقف الصعبة والكرب الشديدة هي التي تظهر معادن الرجال، ولقد كشفت معدن أحمد، فإذا هو ذهب أحمر. والناس إنما ينظرون إلى الرجال في المواقف التي يتبين فيها المحق من المبطل، والصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والشجاع من الجبان، والقوي من الضعيف، وصاحب العقيدة المؤمن بها من

المتزيد المتأكل بها. ربما كان الخليفة ينظر إلى أحمد فيتغيظ منه ويقول في قرارة نفسه: لماذا هذا العناد؟ لماذا يقف الخليفة بنفسه على رأسك ويطالبك فلا تجيبه بكلمة؟ ولكن أمر الله تعالى كان عند الإمام أحمد أعظم من أمر الخليفة. فقد قال النبي ﷺ: "**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**"[1]، وقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا اللذين ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] سواء كانت المنازعة مع كبير أو وزير، أو أمير أو غير ذلك؛ بل حتى لو كانت المنازعة مع أب حبيب عظيم القدر رفيع الشأن! يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥] فالحق أعز من كل عزيز، وأحب من كل حبيب، وفي سبيل الحق تطير

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٠٩٨)، (٣٨٧٩)، (٢٠١٣٣) عن علي وابن مسعود وعمران بن حصين رضي الله عنهم، بأسانيد صحيحة.

الرؤوس، وتزهق النفوس، وفي سبيل الحق يقدم الإنسان روحه وراحته ويستقل ذلك في ذات الله – عز وجل – :

- **عهد الواثق**[1]:

وفي عهد الواثق بعدما مات المعتصم تغيرت الأمور وسكنت الفتنة بعض السكون، ولكن الواثق فرض على الإمام أحمد الإقامة الجبرية في بيته، وكان المعتصم قد أطلقه وندم على ما كان منه، ثم فرض عليه الواثق الإقامة الجبرية في بيته فلا يخرج حتى إلى الصلاة!! فمن يستطيع أن يصبر على هذا؟! إنه لا يصبر عليه إلا الأفذاذ من الناس. لو أمر الإنسان ألا يخرج من بيته يوما واحدا، أو أودع في السجن ساعة لضاقت عليه الأرض بما رحبت، وصار يضرب أخماسا بأسداس، وترك ما كان يدعو إليه من قبل وتغيرت في عينه الموازين... فالله المستعان. أما أحمد فبعدما خرج من كير المحنة ونارها جاءته المحنة الأخرى، وهي فرض الإقامة الجبرية عليه في بيته لا يخرج حتى إلى الصلاة، ولا ينشر علما ولا

(1) ولي الخلافة من سنة ٢٢٧ هـ. وحتى سنة ٢٣٢ هـ.، انظر البداية والنهاية (٣٢٥/١٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٣/١١-٢٦٥).

حديثا. وهذا الحصار على العالم ليس بالأمر السهل، فقد عاش عمره بين العلماء وطلاب العلم، يعلم ويذاكر ويحدث، فإذا حجب صار كالسمكة التي أخرجت من الماء؛ لأنه عزل عن جوه العلمي ومحيطه الدعوي، ولكن الإمام تجرع كل هذه المرارات، وتحمل كل هذه الشدائد بصبر أولي العزم من الصابرين، وثبات أولي العلم الراسخين.

- **عهد المتوكل**[1]:

ثم جاء بعد ذلك المتوكل، فأكرم الإمام أحمد وعظمه، ورفع عنه المحنة، وأذن له بالتعليم والتدريس، ونشر علمه وفقهه وحديثه وفتياه، ومع ذلك فإن الأمر لم يسلم من المنغصات. فمع أن المتوكل أكرم أحمد واحتفى به ولقيه مرات، وطلب منه أن يشخص إليه فاستقبله في بغداد وأسكنه بيتا فخماً، ولكن الإمام –رحمه الله– لم يستقبل هذه الحفاوة من الخليفة استقبال المتشوف لها، المتشوق إليها، ولكنه كان في غاية الانقباض عن إغراء المال،

(1) ولي الخلافة من سنة ٢٣٢ هـ. وحتى سنة ٢٤٧ هـ.، انظر البداية والنهاية (٤٥٦/١٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٥/١١ وما بعدها).

وفتون الجاه، وغرور السلطان، حتى إنه لم يأكل للخليفة طعاما، ولم يقبل له أعطية، ولا جلس له على فراش. وكان يأكل من طعامه الخشن، وينفق من ماله القليل. فحينئذ قال قائل للخليفة: "إن هذا الرجل لا يأكل لك طعاما، ولا يشرب لك شرابا، ولا يجلس لك على فراش؛ بل هو يحرم ما تشربه، فلماذا لا تتخذ منه موقفا؟!"(١) هذا تقرير أمني عن أحمد يقدم للخليفة، فلم يلتفت الخليفة إلى هذا التقرير، ولا أعطى رجال الأمن هذه الأهمية، ولا اعتبر أن تقريرهم هو القول الفصل في شأن الإمام أحمد ولا في غيره؛ بل قال قولة مدوية صريحة: "والله لو نشر المعتصم –وهو والده – وكلمني في الإمام أحمد ما قبلت منه شيئا". الإمام أحمد له من قلبي مكانة رفيعة، لا أقبل فيه قول قائل.

ومع ذلك لم تقف الوشايات عند هذا الحد، فقد جاءه رجل من المغرضين وقال له: "إن أحمد وإن كان يتظاهر بالدين والصلاح والعلم والفقه إلا أن الأمر بخلاف ذلك". قال له: "ما الخطب؟" قال له صاحب التقرير الأمني الثاني: "إن أحمد يخطط

(1) انظر سير أعلام النبلاء (١١/٢٧٠).

لقلب نظام الحكم، ويسعى إلى الوصول إلى السلطة، وأن هناك وثائق تدل على ذلك!!" ما هي الوثائق؟! يقول التقرير الأمني الذي ذكره غير واحد من المؤرخين: "إن الإمام أحمد قد آوى بعض العلويين في بيته وأنه يبايع له في السر!" إذًا نحن أمام دعوى عريضة تعتمد على أمر موجود في بيت الإمام أحمد، رجل علوي يبايع له بالسر بالخلافة. فحينئذ أصاب الخليفة ما أصابه؛ لأن هذا تقرير أمني يفترض أنه مبني على حقائق ومعلومات، وليس على تخمين أو ظن ويمس السلطة في قمتها؛ فلذا جاء التصرف عاجلا ومباغتا، ففوجئ أحمد وأهل بيته وجيرانه بمنزله يحاصر في ساعة من الليل، فلم ينتبهوا إلا والمشاعل والمصابيح تضاء على منزله، ومنازل الجيران حوله من أجل ضمان أن لا يتسلل أحد من المنزل، أحاط الحرس بالدار واقتحم الجنود المنزل، فماذا وجدوا؟ لقد وجدوا أحمد –رحمه الله– جالسا القرفصاء مع زوجته وأولاده يتناولون طعام العشاء. فوجئ الإمام رحمه الله بذلك: فسأل: "ما الأمر؟" قالوا: "عندك رجل علوي". قال بهدوء وثبات: "فتشوا". ففتشوا كل شيء حتى خزائن الكتب

وغيرها فما وجدوا شيئا، فسألوه، قال: "والله ما عندي من هذا علم، وليس من هذا شيء، ولا مثل هذا في نيتي، وإنما هذا كذب عليّ"[١]... فعرف الخليفة أن الناس يكذبون عليه[٢] فلم يعد يقبل فيه كلاما بعد ذلك.

هذا شئ من خبر الفتنة وهذه بعض مجرياتها وأحداثها.. ولكن ما هي العبرة منها؟.

- **عبر من الفتنة:**

- **العبرة الأولى:**

أن الإمام أحمد رحمه الله قام بفرض الكفاية، وكان موقفه الفريد هو الذي أثبت الخيرية المستمرة لهذه الأمة، وأنه لا يزال فيها من يقوم بالقسط والعدل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقوم بالحق، لا يخاف في الله تعالى لومة لائم، ولو لم يوجد

(1) انظر سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٦-٢٦٧).

(2) ذكر الذهبي أن الذي دس عليه رجل من أهل البدع يدعى ابن الثلجي، انظر سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٧).

الإمام أحمد لكان معنى ذلك أن الأمة كلها طأطأت رأسها وأذعنت للفتنة وأقرت بالباطل، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يوجد في كل زمان ومكان من يقوم بحجته تعالى على عباده، ويبلغ دين الله ويصبر في ذلك ويصابر. ولهذا لما ذكر علي بن شعيب حديث النبي ﷺ في قصة خباب رضي الله عنه: "**إن الرجل ممن كان قبلكم يؤتى به يحفر له في الأرض فيوضع فيها، ويؤتى بالمنشار فيوضع على مفرق رأسه حتى يشق نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه من عصب _ ما يصده ذلك عن دينه**"[١]، فقال علي بن شعيب: "والله لولا أن الإمام أحمد قام بهذا الشأن لكان عارا علينا إلى يوم القيامة أن قوما سبكوا فلم يخرج منهم أحد"[١]. ولهذا قالوا: "لو كان الإمام أحمد في بني إسرائيل لكتبت له سيرة". ونحن نقول: لقد كان الإمام أحمد في هذه الأمة، وإنه لو كان في بني إسرائيل لكتبت له سيرة واحدة، أما لأنه من هذه الأمة الخيرة فقد كتب له مئات السير، فقد ترجم له في مجلدات

(1) أخرجه البخاري (٣٦١٢) من حديث خباب رضي الله عنه.

(1) انظر تاريخ بغداد (٤/٤١٨).

خاصة، كما صنف في ذلك ابن الجوزي والبيهقي، وترجم له المحدثون في كتبهم كابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، والمزي في تهذيب الكمال وغيرهم كثير، وترجم له الفقهاء ولأصحابه في كتب طبقات الحنابلة، كابن أبي يعلى وابن رجب وغيرهم، وترجم له المؤرخون في تواريخهم، كالخطيب في تاريخ بغداد، وابن كثير في البداية والنهاية، والذهبي في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء، وغيرهم، وترجم له المعاصرون كأبي زهرة وغيره، ولا زالت هذه الأمة حفية بهذا الإمام تعظمه، وتعتـــز وتعتبر بسيرته.

- **العبرة الثانية:**

أن الإمام أحمد قام بالشهادة لله تعالى، فالذين كانوا على عقيدته ويقولون بما يقول كثير؛ بل أكثر العلماء والمحدثين والفقهاء، يقولون مثل قوله: القرآن كلام الله تعالى منـــزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. ولكن الذي ثبت، وأعلن هذا الاعتقاد، وأصر عليه، وأوذي في سبيله - من الأئمة المقتدى بهم

- رجل واحد فقط وهو الإمام أحمد، ولهذا عرف المذهب باسمه ونسب إليه وإن كان الجميـــع يقولون بقوله.

إن الإمـــام أحمد لم يرض مسلك التأويل والتورية والمداراة بظاهر القول، فإن من أهل العلم مثلا من أجاب في الفتنة تقية، فقال لهم ما يريدون على سبيل التخلص من أذاهم، أما الإمام أحمد فما رضي بالمداهنة ولا بالتورية؛ بل قالها واضحة صريحة ولو أغضبت المتنفذين من أهل البدع، فأرعدت لها أنوفهم وأجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم.

لقد صبر حتى أعز الله تعالى به الدين، قال علي بن المديني: "إن الله تعالى أعز هذا الدين برجلين: بأبي بكر ﷺ يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة". فهو مجدد لهذا الدين، والتجديد موقف صلب تتحطم عليه المحدثات وتنتهي عنده الانحرافات وأي تجديد للدين أعظم من أن يصبر الإمام أحمد سنوات طوال، حتى تعود الدولة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، ويعود الناس إلى هذا المنهج، ويصبح هو المذهب المتبوع الذي يدين به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها؟! إن أبا بكر رضي الله عنه جدد دين الإسلام

بعدما كادت الردة أن تكتسح جزيرة العرب، فوقف ذلك الموقف العظيم لما قال الصحابة: "يا أمير المؤمنين، رمتنا الجزيرة عن قوس واحدة، ونخشى أن تقتحم المدينة نفسها، فلو تركنا الذين منعوا الزكاة وصبرنا عليهم، وبدأنا بالمرتدين "، فما تردد أبو بكر رضي الله عنه ولا داهن وإنما قال: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال. والله لو مَنعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر فوالله ما هو إلا رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق"(١).

إذًا فالإمام أحمد كان مجددا لهذا الدين بذلك الموقف العظيم، الذي تحطمت عنده المحدثات والبدع والانحرافات. إن ثقة الناس بالدعوة-أي دعوة- تكون بقدر ثقة الداعية بها، ويقينه بصحتها، وتضحيته من أجلها، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. وكان

(1) أخرجه البخاري (٧٢٨٥) وهذا لفظه، ومسلم (٢٠) عن أبي هريرة ﷺ.

الإمـــام أحمد نموذجـــا لذلك، فقد كان مؤمنا بآيـــات الله ﷻ ما داخله شك ولا ريب ولا تردد في صحة وصواب ما يدين به وما يعتقده، ولم يزده البلاء إلا يقينا على يقينه وإيمانا على إيمانه: ﴿ اللذين قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وسوله وَصَدَقَ اللَّهُ وسوله ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، إذًا فالبلاء زاده إيمانا، وزاده تسليما، وزاده صبرا ويقينا، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولهذا صار إماما، حتى كان العلماء في وقته ممن يكبرونه سنا، وممن جلسوا للتدريس والتحديث قبله يقولون: "أحمد إمامنا وسيدنا وهو حجة بيننا وبين الله تعالى" كما قال علي بن المديني، ويحيى بن معين وغيرهما من أهل العلم؛ بل قال قتيبه بن سعيد: "الإمام أحمد هو إمام الدنيا" ولذلك اهتموا به ونقلوا هديه وعلمه، وأعماله وأحواله، وأقواله وسائر أموره، حتى نقلوا عنه الدقائق والتفاصيل

التي يُتعجب من نقلها؛ بل نقول - بكل طمأنينة- إن أهل الكتاب لا يعرفون عن أنبيائهم مثل ما نعرف نحن المسلمين عن عالم من علمائنا كالإمام أحمد رحمه الله تعالى.

كان إماما مجددا صالحا قـــدوة حجة بين النـــاس وبين الله ﷻ؛ ولهذا كان الكثيرون يقولون -كما قال بشر بن الحارث، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وغيرهم- : "تريدون منا أن نقوم مثل مقام الإمام أحمد؟! إن أحمد قام مقام الأنبياء"[1] أي وقف موقف صدق يشبه ما كان عليه الأنبياء عليهم سلام الله تعالى.

(1) انظر سير أعلام النبلاء (١١/٢٥٤).

- **العبرة الثالثة:**

ثبت الإمام أحمد في المحنة، فكان هو نفسه المحنة. وذلك أن العلماء في عصره كانوا يحبونه ويعظمونه ويسعون إلى لقياه، والقعود بين يديه. قال المقرئ: "رأيت علماءنا مثل الهيثم بن خارجة، ومصعب الزبيري.. وعدَّ خلقا، رأيتهم يعظمون الإمام أحمد ويبجلونه ويجلونه ويوقرونه ويقصدونه للسلام عليه". وقال أبو حاتم -رحمه الله-: "إذا رأيتم الرجل يحب أحمد فاعلموا أنه صاحب سنة"[1]. فصار الإمام أحمد رمزا من رموز السنة، ما يحبه إنسان إلا لأنه يحب دينه، وعقيدته، وثباته وصبره وما كان عليه، وبالمقابل قال الفلاس: "إذا رأيتم الرجل يقع في أحمد فاعلموا أنه مبتدع".. لأنه لا يبغض أحمد إلا مخالف له في عقيدته التي امتحن من أجلها وصبر لها وصابر، قال الهمداني: "أحمد بن حنبل محنة يُعرف به المسلم من الزنديق".

أضحى ابنُ حنبل محنةً مأمونة   وبحب أحمدَ يُعرف المتنسكُ

(1) انظر سير أعلام النبلاء (١١/١٩٨).

وإذا رأيتَ لأحمدٍ متنقصــا فاعلم بأن ستــوَره ستُهتَّكُ[1]

وهكذا يكون الصابرون ﴿ وَمَا يلقاها إِلَّا اللذين صَبَرُواْ وَمَا يلقاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥] إن هناك رجالا تجردوا من حظوظ أنفسهم، وتخلوا عن دنياهم، وترفعوا عن شهواهم، فلم يعد لأنفسهم في أنفسهم نصيب، ولم يعد يعنيهم أمر أنفسهم لا في مأكل ولا في مشرب ولا في جاه ولا في عرض، فلا يهمه أن يقع الناس فيه، ولا أن ينالوا منه، ولا أن يُضرب أو يسجن أو يقتل، المهم أن ينتصر دين الله تعالى، وأن تبقى سنة رسول الله ﷺ، فأكرمهم الله تعالى وجعلهم رموزا للسنة، بها يعرفون وإليها يُنسبون، فمن أحب أحمد فإنما أحب السنة، ومن أبغضه فإنما أبغض السنة.

- **العبرة الرابعة:**

بماذا ثبت الإمام أحمد؟

(1) انظر تاريخ بغداد (٤/٤٢٠).

هناك ثلاثة أسباب:

السبب الأول: تثبيت الله ﷻ ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥].. ثبته الله تعالى بعونه وتسديده وتأييده ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ اللذين ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ولهذا علم النبي ﷺ علياً فقال : "**قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهداية هدايتك الطريق والسداد سداد السهم**"[1]:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأولُ ما يجني عليه اجتهادُه

فاتجه إلى الله تعالى، وسل الله، واعتصم بالله، وتوكل على الله، وآمن بالله، وسلِّم إلى الله. واعلم أنك لا تنجو بنفسك، ولا بقوتك، ولا بحولك؛ وإنما بالله تعالى. ولهذا أمر النبي ﷺ

(1) أخرجه مسلم (٢٧٢٥) من حديث علي ﷺ.

المؤمن أن يقول: **"لا حول ولا قوة إلا بالله"**، وأخبر أنها **"كنــز من كنوز الجنة"**[٢]، فلا تحول للعبد من معصية إلى طاعة، أو من بدعة إلى سنة، أو من ضلالة إلى هدى إلا بالله تعالى، ولا قوة للإنسان ولا صبر له على طاعة الله واتباع سنة رسول الله ﷺ إلا بعون الله تعالى وتأييده وتسديده. فقل دائما وأبدا: لا حول ولا قوة إلا بالله، تجد العون والتسديد من الله ﷻ.

السبب الثاني: البينة والعلم الذي كان يحمله، فكان على بينة من أمر دينه، تلقى كتاب الله وكان عالما إماما في القرآن، وتلقى حديث رسول الله ﷺ حتى قيل إنه يحفظ مئات الألوف من الأحاديث بأسانيدها، فكان بما آتاه الله من العلم على نور من ربه، وعلى بصيرة من أمره.

السبب الثالث: هو الأمة التي كانت وراء الإمام أحمد، نعم، كانت وراءه أمة تؤيده وتساعده وتصبره. قال أبو جعفر

---

(2) أخرج مسلم في صحيحه (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: " **ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة،** أو قال: **"على كنــز من كنوز الجنة** فقلت: بلى، فقال: **لا حول ولا قوة إلا بالله"**.

الأنباري: "لما حمل الإمام أحمد إلى المأمون وتجاوز الناس به النهر عبرت إليه فإذا هو في الخان، فسلمت عليه فرد عليّ السلام، وقال لي: تعنيت -أي تعبت في سبيل المجيء إليّ- قلت له: ليس هذا بعناء، قال: ثم قلت له - وانظر إلى نصيحة هذا الرجل الذي لا يملك شيئا إلا النصيحة يقولها لأحمد يثبته ويصبره بها- : يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبتهم إلى ما يريدون وقلت بخلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق كثير من خلق الله تعالى، وإن أنت امتنعت عن هذا ليمتنعن بامتناعك، ومع هذا فإن الرجل - أي المأمون- إن لم يقتلك فإنك تموت غير بعيد، ولا بد لك من الموت، فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء، فبكى الإمام أحمد وجعل يقول : ما شاء الله، ما شاء الله، أعد عليّ هذا الكلام، قال: فأعدته عليه. فقال: ما شاء الله، ما شاء الله".

وأعجب من ذلك أن الإمام أحمد لما جيء به إلى الخليفة ليمتحن جاءه رجل فهمس في أذنه فقال : "أنا رسول إليك أرسلني فلان الحداد -رجل محبوس- يقول لك: يا أحمد، اثبت ولا تجزع من الضرب، فوالله أنا قد جلدت في معصية الله ألف

حد فما يضرك أنت أن تجلد في ذات الله؟!" فحتى السجناء والعصاة يشعرون أن عليهم واجبا في تثبيت أهل الطاعة ودعمهم، وتقوية هممهم وعزائمهم، وتصبيرهم وإعانتهم بما يستطيعون!.

- **العبرة الخامسة:**

أن الإمام أحمد ثبت وكان وحده، فحبس ومُنِعَ من مخالطةالناس فلا يقتربون منه، ولا يؤذن لهم فيأخذون عنه العلم والحديث، على حين كان بعض شيوخ البدعة حولهم الجاه ومعهم السلطان، وما هي إلا سنوات حتى انقلبت الآية، فكان يجلس في مجلس الإمام أحمد كما ذكر الذهبي وغيره خمسة آلاف: منهم خمسمائة يكتبون العلم، والباقون يتعلمون من الإمام أحمد الأدب والهدي والسمت، وأصبح لا يجرؤ عليه أحد.

ثم مات رحمه الله فصلى عليه خلق كثير، حتى قيل إنهم حسب الإحصائيات المتوسطة مليون إنسان، فضلا عمن صلوا عليه في السفن وفي غيرها، خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى.

ازدحمت الطرق، وامتلأت بغداد وغصت بمن فيها، واجتمع الخلق، وقال بعض المؤرخين: إنهم لم يجتمعوا في الإسلام قط كما اجتمعوا على جنازة الإمام أحمد.. وما ذاك إلا لأنه صبر لدين الله وصابر، وكان يقول لأهل البدع: "بيننا وبينكم الجنائز". فأما أحمد فحضر جنازته ما يزيد على المليون، وارتفع الصياح في البيوت والأسواق والمقابر والمساجد وغيرها، وما من مسلم إلا دخلت المصيبة عليه بموت الإمام أحمد، أما أهل البدعة ومنهم ابن أبي دؤاد – خصم الإمام أحمد وعدوه اللدود والذي كان يقول للخليفة: "يا إمام اقتله ودمه في عنقي"– فلأنه كان يستمد قوته من سلطان الأرض، وكان ضالا مبتدعا منحرفا عن السنة؛ لما مات بالفالج لم يحضر جنازته إلا ثلاثة. وهناك كثيرون كبشر الحافي وغيره من أهل الزهد والورع والصلاح، ومع ذلك لم يحضر جنازتهم أحد يذكر.. أما أحمد فكل هذا الخلق حضر جنازته.

أما قبل أن يموت فحدِّث ولا حرج، فقد ضربت شهرته الآفاق، وصار ذكره على كل لسان، حتى صار هو يضيق بذلك

ويقول: "اشتهرت، اشتهرت"، وكان يقول: "طوبى لمن أخمل الله تعالى ذكره". أي لم يشتهر ويعرف في الناس، وكان الحزن يرى عليه أحيانا من كثرة ذكر الناس له؛ بل إن الحسين بن الحسن الرازي كان يقول: "اشتريت من بقال بمصر متاعا، وتحدثت معه فسألني عن الإمام أحمد بن حنبل، قال: أتعرفه؟ قلت: نعم أعرفه، وقد كتبت عنه حديثا، قال: فلما أعطيته الثمن قال: والله لا آخذ منك شيئا، أنا آخذ ثمن متاع من أحد عرف الإمام أحمد ورآه بعينه؟!". فكانوا يعظمون من لقي أحمد أو أحبه أو أخذ عنه أو كتب عنه الحديث، وهذه بعض آثار صبره -رحمه الله- على المحنة.

- **العبرة السادسة:**

زهده وعبادته، ولعل هذا يمت بسبب إلى ما سبق، فلم يكن يصبر ويصابر لولا أنه كان يستمد هذا من عبادته لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا

سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ١-٥]، قال عبدالله ابن الإمام أحمد: "كان والدي ساعة يصلي العشاء ينام نومة خفيفة، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو - على رغم كبر سنه وبعدما جاوز السبعين من عمره- وكان يقرأ في كل يوم سبع القرآن فيختم القرآن في كل أسبوع، وربما ختم القرآن في كل أسبوع مرتين، وكان يكثر من الصيام ويسرده، وصام وهو في السجن، وصام وهو يجلد". ولما اشتد مرض الإمام أحمد بعث إليه الخليفة بابن ماسويه الطبيب، فنظر إلى الإمام أحمد ورجع إلى الخليفة وقال له: "يا أمير المؤمنين، أحمد ليست به علة في بدنه؛ إنما هذا من قلة الطعام وكثرة الصيام وكثرة العبادة". فسكت المتوكل عن ذلك.

هذا جانب من عبادته وتقربه إلى الله تعالى.

وأمر ثان: كان الإمام أحمد يكره التكلف والتصنع، ويعرف أن البهرج والمظاهر لا تصنع الحقائق، وأن العبد سيعرض على الله تعالى لا تخفى منه خافيه ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴾ [الحاقة: ١٨]. فكان الإمام يتعامل مع الله تعالى،

ويراقب الله، ويخاف من الله، ولا يتظاهر للناس بشيء من ذلك. قال أبو حاتم: "إذا رأيتَ أحمد تعلم أنه لا يظهر النسك، رأيتُ عليه نعلا لا يشبه نعل القراء له رأس كبير -يعني النعل- معقد، وشراك مسبل كأنه اشتري له من السوق -يعني نعله من نعال الناس- وليس من النعال التي يتميز بها القراء".

إن بعض المحدثين أو الطلبة قد يجعل له سمتا خاصا وبزّة معينة، أما أحمد فلم يكن كذلك؛ بل كان كسائر الناس. قال أبو محمد بن أبي حاتم: "أراد الإمام أحمد بهذا-والله أعلم- ترك التزين بزي القراء وإزالته عن نفسه لئلا يشتهر به". وقال المروزي: "إذا كان الإمام أحمد في بيته كان خاشعا، وكان عامة جلوسه التربع، فإذا كان برا - يعني في خارج بيته- لم يتبين منه خشوع" فلم يكن يتظاهر بذلك لا في مشيته ولا في ثيابه، ولا يتميز بثياب خاصة أو ملابس معينة أو هندام؛ وإنما كان يهتم بالحقائق لا المظاهر وبالمعاني لا الرسوم.

أمر ثالث: من زهده وعبادته إعراضه عن الدنيا وزهده في المال: قضى الإمام أحمد حياته كلها فقيرا، وكان يحب الفقر

ويفرح به، ومع ذلك عرضت عليه أعطيات السلطان فردها؛ بل هبات الشيوخ والتجار تعفف عنها، وآثر الصبر على القلة والكفاف. قال عبد الرزاق: "أعطيته بعض الدنانير فردها، وقال: أنا بخير"، وقال محمد بن سعيد الترمذي: "قدم إلى بغداد صديق له من خراسان، وقال له: إن رجلا بخراسان يبيع ويشتري ويقول: إن ربح هذه البضاعة لأحمد، فقال الإمام أحمد: جزاه الله تعالى عنا خيرا، أما نحن ففي غنى وسعة، وأبى أن يأخذ شيئا من ذلك". وربما أحرجه بعض الناس وأطال عليه؛ فيقوم من المجلس ويدخل في بيته. دفع إليه السلطان أموالا فردها، ودفعها فردها مرة أخرى، فقالوا له: "إن رددتها تغير عليك قلب السلطان وظن أنك لا تأخذ منه شيئا، وربما وقع في نفسه"، فأخذ هذه الأموال وقال: "هاتوا لي أسماء الفقراء، وطلاب الحديث، وطلاب العلم المحتاجين"، وجعلها كلها في قوائم، فما أصبح في بيته منها درهم ولا دينار، وكان دائما يردد قوله تعالى: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]. ولما مات الإمام أحمد بعث ابن طاهر بكفن وحنوط للإمام أحمد وقال: "كفنوه في هذا وحنطوه بهذا"، فقال

صالح ولد الإمام أحمد: "لا، إن الإمام أبا عبد الله قد أعد كفنه وأعد حنوطه قبل أن يموت، وإن أمير المؤمنين قد أعفى والدي من كل ما يكره، وهذا مما يكره الإمام أحمد"، وأبى أن يقبلها وردها إليه، وكان الإمام أحمد يقول لولده صالح: "إن والدتك – وكان يحبها كثيرا ويتذكرها وقد ماتت قبله – كانت تغزل غزلا دقيقا، فتبيع الأستار بدرهمين أو أقل أو أكثر، وكان ذلك قوتنا ومعاشنا"، وكان يقول: "أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء من الدنيا"، ثم يقول: "إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وأيام قلائل ثم نصير إلى الدار الآخرة". فهذه فلسفة أحمد في الزهد.

إن سبب الاستشراف للدنيا – والذي أذل الحرص عليه أعناق الرجال– ليس هو طلب ضرورة أو كفاية، ولكنه طلب الترفه والتميز. إن الذين استشرفوا لأموال الخلفاء وأعطياتهم – وربما باعوا دينهم بدنيا غيرهم– لم يكونوا معدمين مضطرين، ولكن أرادوا طعاما أطيب من طعامهم، ولباسا ألين من لباسهم، وأموالا أكثر مع أموالهم. أما من اكتفى بما عنده من غير تشوف

للكماليات ومزيد الرفاهية، فما أسهل عليه أن يستغني عن ذلك كله، ويرده ولا يبالي.

لذا عرض على الإمام أحمد مال فرده، فألح عليه أهله فأبى عليهم، ثم مضت مدة بعد ذلك فذكرهم بذلك ثم قال: "أما كنا لو أخذناه لفني"، أي لو أخذه لنفد كما ينفد كل مال، وعندما استغنى عنه أغناه الله عنه، وأبقى له عزة نفسه وشرفه الذي لم يساوم عليه؛ بل بلغ من ورع الإمام أحمد وزهده أنه نهى ولده عن أن يأخذ شيئا من أعطيات السلاطين، وكان صالح قد ولي القضاء وأخذ بعض المال وبعض المرتبات، والإمام أحمد كان يتورع عن أخذها ويعتذر عن ذلك ولا يحرمها، ولما أخذ أولاده بعض ذلك عاتبهم فاعتذروا، وقالوا: "احتجنا يا أبانا"، فهجرهم شهرا لا يكلمهم. ولما مرض وصفوا له بعض القرع الذي يشوى ويؤخذ ماؤه، فلما جاءوا بهذا القرع قال بعض الحضور: "إن تنور صالح قد أوقد وحمي، فاجعلوها في هذا التنور"، فكان الإمام أحمد يقول بيده هكذا (لا، لا)، لا تجعلوها في تنور صالح لأنه يأخذ من السلطان. وكان لعمه غلام يجلس عند الإمام أحمد فربما

حرك عليه المروحة يروح عنه أحيانا، فكره الإمام أحمد ذلك لأنه يخشى أن يكون عمه اشترى هذا العبد من أعطيات السلطان.

* * *

الفصل الثالث

أخلاقه ومناقبه

إنها عجب من العجب! أوذي الإمام أحمد وضُرب، وقضى حياته كلها مترددا بين السجون، فماذا كان موقفه؟ سامح من آذوه وضربوه، وقال: "ما علينا ألا يعذب الله تعالى أحدا بسببنا".

وقد تلقى عنه هذا الهدي والسمت تلاميذه ومحبوه وأتباعه، فكان الإمام ابن تيمية مثلا وقد أوذي وسجن، يقول عمن آذوه - وقد ألح عليه طلابه أن يدعو عليهم-: "إن كان الحق لي فقد عفوت عنهم، وإن كان لله فالله تعالى يتولاهم، أما أنتم فليس لكم بذلك شأن".

قيل للإمام أحمد قد مكنك الله من عدوك، هذا هو ابن أبي دؤاد اصنع به ما شئت واحكم فيه ما شئت، فلم يتكلم بشيء!. بل أعرض عنه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشوري: ٤٠]، وكما قال

النبي ﷺ " **أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**"(1). ثم استفتوه في أموال لابن أبي دؤاد - وكانت أموالا جاءته من السلاطين فلم يرد منها شيئا - فما أفتاهم بشيء. بل ذكر البيهقي حكاية عجيبة عن أبي الفضل التميمي عن الإمام أحمد أنه كان يدعو في سجوده ويقول: "اللهم من كان من هذه الأمة على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إليه حتى يكون على الحق حقا". هكذا حرصه ودعاؤه حتى للضالين والمحاربين والمبتدعين يدعو لهم بالهداية لأنه يقول: "ما علينا ألا يعذب الله أحدا في النار بسببنا"، فهذا حرصه على هداية الناس، ودعوهم إلى الخير، وإنقاذهم من المعصية ودعوهم إلى الطاعة والسنة!!

ناظر الإمام أحمد أهل البدعة في مجالس عديدة في زمن المعتصم وغيره، فلم يكن يقول إلا: "هاتوا لي دليلا من كتاب الله تعالى". ما كان يسب، ولا يشتم، ولا يلعن، ولا يرفع صوته،

(1) أخرجه الترمذي (١٢٦٤)، وأبو داود (٣٥٣٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

ولا يتهم، فالمسألة ليست مشاتمة ولا ملاعنة ولا خصومة؛ وإنما كانت المسألة مسألة مناظرة بالدليل.

وهذا كلام الإمام أحمد في الرجال والجرح والتعديل ليس في إغلاظ أو تجن أو مبالغة، ولكن إجمال وعفة وأدب. فربما قال: لا تأخذ الحديث عن فلان، أو اتركه، أو ما أشبه ذلك، أو أشاح عنه بوجهه وتركه، أما الكلام الغليظ واللفظ الخشن فلم يسمع من فم الإمام أحمد.

أما تواضعه: فأمر عجيب نذكر منه نماذج فحسب. فلم يكن يدع أحدا يستقي له الوضوء؛ بل كان يأخذ الماء بنفسه، وربما خاط الإمام أحمد قلنسوته بيده، ويتولى شأنه. وربما خرج إلى البقال يشتري حاجته ويحملها بيده إلى بيته ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠] هذا هو هدي المرسلين، التواضع والبساطة والبعد عن الأبهة والجبروت والكبرياء، و"**من تواضع لله**

رفعه الله"[1]. قال له رجل: "يا أحمد، هذا العلم تعلمته لله؟" فقال: "هذا شرط شديد"، وفي رواية أنه قال: "أما لله فعزيز، ولكن حبب إليَّ شيء فجمعته". وروى البيهقي أن رجلا قال للإمام أحمد: إن أمي مقعدة منذ سنين، وإنها أوصتني أن آتي إليك لتدعو الله تعالى لها، فغضب الإمام أحمد وقال: أنا أدعو الله تعالى لها؟! أنا أحوج أن تدعو الله تعالى هي لي. فذهب الغلام وهو مكسوف البال، ورجع إلى أمه يريد أن يخبرها بخبر الإمام أحمد، فلما ولى رفع الإمام أحمد يديه إلى السماء ودعا الله تعالى لها، فلما طرق الغلام الباب إذا أمه تفتح الباب له وقد عافـاها الله تعـالى وشفاها ببركة دعاء الإمام أحمد لها"[2]. وقـال المروزي

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عمر بن الخطاب (١٢٩/٧) وحديث أبي هريرة (٤٦/٨) بلفظ: **"من تواضع لله رفعه الله"**، وقال عن حديث عمر: غريب من حديث الثوري، وعن حديث أبي هريرة: غريب من حديث إبراهيم بن أدهم. والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير من حديث أبي هريرة ، وعزاه لأبي نعيم في الحلية، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦١٦٢).

(2) انظـر محنة الإمام أحمد – لعبد الغني المقدسي ص٦٠، وكذلك سير أعلام النبلاء (٢١١/١١)، قال الذهبي: هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس الدوري.

لأحمد: "ما أكثـر الذين يدعون لك يا أبا عبد الله، قال: عسى ألا يكون هذا استدراجا. قال له: "لقد كنا في بلاد الروم وقد هجم المسلمون على الكفار، فكان الجنود وهم مرابطون في المعارك يدعون لك في الهزيع الأخير من الليل، ويسألون الله تعالى لك فدمعت عيناه وقال: من أجل ماذا؟ أخشى أن يكون هذا استدراجا. قال: والله لقد رأيت الجنود يرمي أحدهم بالمنجنيق ويقول: هذا عن الإمام أحمد، فربـما ضرب علجا من علوج الروم فقطعه أو قتله فبكى أحمد وقال: من أجل ماذا يصنعون هذا؟ أخشى أن يكون استدراجا".

قيل له وقد ترك التحديث في آخر عمره وحلف ألا يكمل حديثا من أوله إلى آخره وأعرض عن الناس، فقال قائل في مجلسه: "يا أحمد إن الناس يتكلمون أنك لست زاهدا في الدنيا فقط؛ بل أنت زاهد في الدنيا زاهد في الناس". قال: "ومن أنا حتى أزهد في الناس؟ الناس يزهدون بي". فهذه نظرة الإمام أحمد إلى نفسه، وهو الإمام العظيم الذي التزم بالورع حين خلط الناس، والتزم بالسنة حين خالفها الناس، وتبوأ تلك المكانة العظيمة

والرتبة العالية، ومع ذلك لا يرى لنفسه حقا، ولا يرى نفسه شيئا يقول: "الناس يزهدون بي، ولست أنا الذي أزهد بالناس".

ذكروا له أن فلانا رأى الرسول ﷺ يذكرك ويثني عليك ويقول: "اصبر"، فيبكي الإمام أحمد وينفض يده ويقول: "الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره".

الفصل الرابع

بين الإمام أحمد وعلماء عصره

علماء عصره كثير، وقل منهم أحد إلا ولقي أحمد وأخذ عنه، أو تتلمذ الإمام أحمد عليه وأخذ منه، لكننا سوف نضرب نماذج سريعة لكل فئة:

- **الإمام الشافعي: نموذج لعلماء السنة:**

أخذ عنه الإمام أحمد نحو عشرين حديثا مع أن الإمام أحمد أبصر منه بالحديث، وأوسع منه في الرواية بمراحل، ومع ذلك أخذ عنه، وكان الإمام أحمد يقول لبعض زملائه: "تعال حتى أريك رجلا لم تر عينك مثله قط"، ثم يشير إلى الشافعي ﷺ. كما أخذ عن الشافعي جملة من كلام العرب. وقد روى أحمد عن الشافعي حديثا طريفا مسلسلا بالأئمة: رواه أحمد عن الشافعي عن مالك – وهم ثلاثة أئمة متبوعون – عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: "**نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى تعود إلى**

جسدها"[١]. ولما لقي الإمام الشافعي أحمد في رحلته الثانية إلى بغداد قال الشافعي لأحمد: "يا أبا عبد الله، إذا صح عندكم الحديث فأخبرونا حتى نرجع إليه، أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني حتى أذهب إليه، كوفيا كان أم بصريا أم شاميا"[٢]. يقول هذا لإنسان يصغره بسنوات طويلة. وكان الإمام أحمد يقول لولد الشافعي محمد بن محمد: "أبوك من الستة الذين أدعو لهم في السحر"[٣].

وكان الإمام أحمد في حداثته يختلف إلى مجالس علماء آخرين كالقاضي أبي يوسف، وقد كتب روايات علماء الرأي وروايات أهل العراق ثم أقبل على الحديث والسنة.

- **الحارث بن أسد المحاسبي: نموذج للزهاد:**

وهو من المشهورين بالزهد والتقوى والورع والصلاح؛ بل التشديد في ذلك والتنقيب فيه. ذكر ابن كثير في البداية والنهاية

(1) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٣٥١) وإسناده صحيح مسلسل بالأئمة.
(2) انظر طبقات الحنابلة (٦/١)، وسير أعلام النبلاء (٢١٣/١١).
(3) انظر سير أعلام النبلاء (٢٢٧/١١).

أن الإمام أحمد رأى أن ما يفعله الحارث ومن معه من شدة التقشف والتدقيق والتنقير في المحاسبة والتشديد في ذلك، والمبالغة في تتبع الخواطر والوساوس ليس بمشروع، ولم ينقل مثله عن النبي ﷺ، ولا عن صحابته، ولا عن أئمة السلف كمالك وسفيان وابن مهدي وغيرهم، وكان يرى أن في الكتاب والأثر ما يغني عنها، وأنها مما يصرف الناس عن الرواية واقتفاء المأثور من العلم. فلذلك تركهم ونصح هذا الرجل بأن لا يصحبهم، وأن يقبل على العلم والحديث والزهد المعتدل الذي لا يكون فيه إسراف ولا غلو.

- **ابن أبي دؤاد: نموذج للمبتدعة:**

كان يسمى قاضي القضاة وكان عالم الخليفة[١]، وهو الذي تسبب في البدعة، وناظر الإمام أحمد ووقف على رأسه، وأغرى به، وآذاه، وحصل منه ما حصل، ثم دارت الدائرة عليه فجرد من منصبه، واضطهد وضيق عليه ومات شر ميتة، ثم لم يحضر

(1) انظر أخباره في البداية والنهاية (٣٦٢/١٤-٣٧١).

جنازته إلا عدد قليل. سئل عنه الإمام أحمد فلم يجب عنه بشيء، فسئل عن أمواله فأعرض عنها.

فهذا نموذج سريع لمواقفه من علماء عصره...

فرحم الله الإمام أحمد ورفع من درجته في المهديين، وألحقنا به في الصالحين إنه على كل شيء قدير.. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبيـــنا محمـــد وعلى آله وصحبه أجمعيـــن.

* * *

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
لماذا نتحدث عن هؤلاء الرجال؟	٤
الفصل الأول: سيرة ذاتية	١٠
نسبه ونشأته	١٠
طلبه للعلم	١١
عبادته	١١
صفته	١٢
توقير العلماء له	١٤
وفاته	١٤
الفصل الثاني: الفتنة .. أحداث وعبر	١٦
أحداث الفتنة	١٧
عبر من الفتنة	١٨

عهد المعتصم	٢٠
عهد الواثق	٢٥
عهد المتوكل	٢٦
العبرة الأولى	٢٩
العبرة الثانية	٣١
العبرة الثالثة	٣٦
العبرة الرابعة	٣٧
العبرة الخامسة	٤١
العبرة السادسة	٤٣
الفصل الثالث: أخلاقه ومناقبه	٥٠
الفصل الرابع: بين الإمام أحمد وعلماء عصره	٥٦
الإمام الشافعي: نموذج لعلماء السنة	٥٦
الحارث بن أسد المحاسبي: نموذج للزهاد	٥٧
ابن أبي دؤاد: نموذج للمبتدعة	٥٨
الفهرس	٦٠